الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

المحسنات البديعية في المقامات الزمخشرية مقامة النهي عن الهوى أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي/ لغة عربية

إعداد الطالب(ة):
*- بوفليغة آمنة
*- لعيايشة لاميـــة

إشراف الأستاذ(ة):
عزوز سطوف

السنة الجامعية: **2016/2015**

بسم الله الرحمن الرحيم
بسم الله

الدعاء

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا ولا باليأس إذا أخفقنا

وذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح.

اللهم إذ أخذنا نجاحا فلا تأخذ من اعتزاز بكرامتنا، ربنا تقبل دعائنا يارب إذا أسأنا فمنحنا شجاعة الاعتذار وإذا أسيئ إلينا فامنحنا شجاعة العفو.

اللهم علمنا حب الناس كما نحب أنفسنا .

يارب علمنا أن نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب الناس

وعلمنا يا رب أن الانتقام هو أول مظهر للضعف.

آمين يارب العالمين

والشكر لله

شكرا وعرفانا

الحمد لله الذي هدانا إلى نور العلم وميزنا بالعقل الذي يسر طريقنا والذي أعطانا من موجبات رحمته الإرادة والعزيمة الحمد الكثير والشكر الدائم لله عز وجل الذي وفقنا إلى إتمام هذه المذكرة.

إلى الذي تكرم بالإشراف على هذا البحث والذي مهد لنا طريق العلم وعلمنا معنى البحث والجهد، نسأل الله أن يجزيه خيرا إلى الأستاذ:

عزوز سطوف

له جزيل الشكر وأسمى معاني العرفان إلى كل أساتذتي في قسم اللغة العربية وآدابها

مقدمة:

لقد حفل العصر العباسي باهتمام الدارسين والنقاد كونه العصر الذهبي للأمة إذ كان زاخرا بالفنون لاسيما الشعر والنثر وقد لاقت الفنون الاهتمام الواسع من النقاد ومؤرخين الأدب ومن هذه الفنون فن المقامة فقد نالت المقامة اهتمام الدارسين وأكثـــروا الكـلام عليها، و لاتزال المقامة من الفنون النثرية التي أشبعها الدارسون والباحثون بحثا إلا أنهم لم يقولوا فيها كلمة فصل ورأيهم الأخير، فكما هو معروف أن المقامة تشمل على غريب اللغة والألفاظ المعجمية، وفنون البلاغة المختلفة من تشبيهات وكنايات واستعارات، وخاصة الفنون البديعية كالطباق والسجع وغيرها.

وقد كان اختيارنا لهذا الموضوع رغبة في التوسع لمعرفة فن المقامة لأن المقامة تزخر بالمحسنات البديعية، وعلى هذا كان عنوان بحثنا هو:

« المحسنات البديعية في المقامات الزمخشرية »، " مقامة النهي عن الهوى أنمودجا."

ولما يذكر هذا الموضوع: المحسنات البديعية في المقامات الزمخشرية يتبادر إلى الذهن العديد من التساؤلات وهي ما نعتبرها إشكاليات لبحثنا ومن بينها:

ما مفهوم المقامة، وما عناصرها الفنية؟

ما أهـــــــــــــم أعـــــلامهـــا؟

ما مفهـــوم البديـــــع؟ ومـــــــا هـــــــي أهـــــــم المحسنـــــــات البديعـــة؟

ما مضمـــــــــــــون المقامـــــــة؟

وما هي أهم المحسنات اللفظية والمعنوية الموجودة في مقامه النهي عن الهوى؟

ومن البديهي أن أي باحث في دراسته لا بد أن يستند على منهج مناسب يتحدد حسب طبيعة النص، فاخترنا المنهج الوصفي التحليلي بتعريف المقامة ووصف المحسنات البديعية وتحليلها، واتبعنا كذلك المنهج البلاغي وذلك باستخراج المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية من مقامة النهي عن الهوى.

وكل هذه الإشكاليات السابقة الذكر سنحاول الإجابة عليها من خلال عرضنا لحيثيات هذه الدراسة، فقد قسمنا عملنا إلى مقدمة وفصلين:

فكان في بحثنا الفصل الأول نظريا: لأننا نحاول من خلاله الوقوف على تعريفات مختلفة للمقامة والمحسنات البديعية، فقمنا في المبحث الأول: بتعريف المقامة وأهم عناصرها الفنية والتعرف على أهم أعلامها، أما بالنسبة للمبحث الثاني فإننا تتبعنا فيه مفهوم البلاغة والبديع وأهم المحسنـــــــات البديعيـــــة، المعنـــــوية واللفظيـــــة.

أما الفصل الثاني: فكان تطبيقيا فقد قمنا بعرض مدخل حول التعريف بمقامة النهي عن الهوى، فالمبحث الأول يتضمن المحسنات المعنوية كالطبـاق.

والمبحث الثاني: يحتوي على المحسنات اللفظية كالسجع، وتبيين بلاغة كل من هذه المحسنـــــات اللفظيـــــة والمعنويـــــــة.

وينتهي بحثنا بخاتمة ضمت أهم النتائـج.

حيث قمنا في هذا البحث بجمع المصادر والمراجع المختلفة والمتوفرة في هذا الموضوع، فمن هذه المصادر والمراجع التي ساعدتنا على انجاز بحثنا هذا نجد: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم، بالإضافة إلى شوقي ضيف في كتابة فنون الأدب العربي، وكذلك مصطفى السيوفي في كتابة تاريخ الأدب الأندلسي،وكتاب الصناعتين لأبو هلال العسكري، وكذلك زين كامل الخويسكي وأحمد محمود المصري في كتاب فنون بلاغية، ومقامات الزمخشري لأبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري.

الحمد لله لم تواجهنا أي صعوبات أو مشاكل خلال انجازنا لهذا البحث وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا ولو بقدر قليل في انجـــاز هـــذه الدراســـة.

كما نتقدم بأسمى معاني التقدير وكلمات الشكر والامتنان الفائق لأستاذنا المشرف

« عزوز سطوف »، الذي كان لنا نعم السند طوال مشوارنا العلمي هذا وذلك من خلال ملاحظاته الدقيقة ونصائحه وتوجيهاته فأطال الله عمره، دون أن ننسى كل من ساعدنا في هذا البحث من قريب أو من بعيد، ونرجو أن يكون هذا البحث ثمرة يستفاد منها مستقبلا إن شاء الله.

الفصل الأول

المقامة و المحسنات البديعية

مدخل:

تعد المقامة من أروع الفنون النثرية في الأدب العربي، نشأت في أواخر العصر العباسي وفي نهاية القرن الرابع الهجري على وجه التحديد.

فهي تعبر بالدرجة الأولى عن الحياة العامة والشؤون الاجتماعية للأفراد في فترة من فترات التاريخ العربي حيث شهدت هذه الفترة تغيرات وتحولات في مختلف الميادين السياسية والاجتماعية والثقافية فنشأ الصراع وعمت الفوضى وأصبحت السلطة للقوي.

فهذه الأوضاع التي سادت في المجتمع العربي، أدت إلى خلق جنس أدبي جديد بفضل الطبقة المثقفة، حيث عرف فيما بعد بفن المقامات.

المبحث الأول:المقامة

أولا: تعريف المقامة:

أ. لغة:

المقامة في اللغة " كالمقام موضع القيام كمكانة ومكان، استعملت في المجلس ثم في الجماعة الجالسين، ثم سميت الأحدوثة من الكلام مقامة كأنها تذكر في مجلس واحد تجتمع فيه الجماعة سماعها. " [1]

قال الشريشي: " والمقامات، المجالس، واحدها مقامة، والحديث يجتمع له ويجلس لاستماعه يسمى مقامة ومجلسا لأن المستمعين للمحدث ما بين قائم وجالس ولأن المحدث يقوم ببعضه تارة ويجلس ببعضه أخرى. " [2]

وقد تنوعت مفاهيم المقامة مع مرور الزمن، ففي العصر الجاهلي وبرجوعنا إلى الشعر الجاهلي " وجدنا كلمة المقامة تستعمل بمعنيين، فالأول بمعنى مجلس القبيلة أو ناديها.

إذ يقول زهير:

" وفيهم مَقاماتٌ حسانٌ وجوهها وأندِيَةٌ يَنتَابُهَا بها القولُ والفعل.

والثاني تستعمل بمعنى " الجماعة التي يصفها هذا المجلس أو النادي على نحو ما نرى عند لبيد إذ هي الجماعة من الناس فيقول:

" ومقامات غُلب الرقاب كأنهم جن لدى باب الحَصير قيام." [3]

" وفي العصر الإسلامي تستعمل كلمة مقامة بمعنى المجلس يقوم فيه شخص بين يدي خليفة أو غيره، ويتحدث واعظا، وبذلك يدخل في معناها الحديث الذي يصاحبها. " [4]

وفي القرآن الكريم وجدت لفظة مقامة في قوله تعالى: « أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا.» {73} [5]

---

[1] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1982م، ص 615.

[2] حنا الفاخوري، نفس المرجع، ص 615.

[3] شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، الفن القصصي، دار المعارف، مصر، ط 3، ص 7.

[4] المرجع نفسه، ص 7.

[5] سورة مريم، الآية 73.

فنجد المقامة تدور غالبا على الوعظ، " ثم نجدها أيضا في موقع آخر تستعمل بمعنى المحاضرة، وعلى هذه الشاكلة تعفى الكلمة من معنى القيام وتصبح دالة على حديث الشخص في المجلس سواء أكان قائما أم جالسا." [1]

وفي العهد الأموي كانت المقامة عبارة عن " أحاديث زهدية تروى في مجالس الخلفاء." [2]

فكانت المقامات " يراد بها الخطب أو المواعظ التي كانت تلقى في حضرة الخليفة." [3]

ثم انتقل معنى المقامة بعد ذلك " إلى كلام الكدية والاستجداء بلغة مختارة. " [4]

ب. اصطلاحا:

إذا تجاوزنا المعنى اللغوي لكلمة مقامة وتطورها الدلالي بين المجلس، الناس، والحديث في المجلس إلى المعنى الاصطلاحي يمكن تعريفها على أنها " قطعة من النثر الفني على صورة حكاية قصيرة، تنتهي في مغزاها إلى عبرة، أو عظة أو طرفة يرويها شخص واحد خيالي لا يتغير. " [5]

ويعتبر بديع الزمان الهمداني أول من أعطى كلمة مقامة معناه الاصطلاحي " إذ عبر بها عن مقاماته المعروفة وهي جميعها تصور أحاديث تلقى في جماعات فكلمة المقامة عنده قريبة المعنى من كلمة حديث وهو عادة يصوغ هذا الحديث في شكل قصص قصيرة يتأنق في ألفاظها وأساليبها. [6]

والمقامة أريد بها منذ أول الأمر التعليم " ومن أجل ذلك سماها بديع الزمان مقامه ولم يسميها قصة ولا حكاية، فهي ليست أكثر من حديث قصير، وكل ما في الأمر أن بديع الزمان حاول أن يجعله مشوقا فأجراه في شكل قصصي. " [7]

ففن المقامة بدأ أولا في شكل حكاية تلقى بين جماعة من الناس ثم تطور مع مرور الزمن فإن المقامة في أصل معناها حديث طريف أو حكاية، قيل في مجلس أو جماعة من

---

[1] شوقي ضيف، فنون الأدب العربـــــي، الفـــــن القصصـــــي، ص 7.
[2] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، ص 615.
[3] حنا الفاخوري، المرجع نفســه، ص 616.
[4] حنا الفاخوري، المرجع نفســه، ص 616.
[5] عبد العزيز عتيق، فنون الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ص 477.
[6] شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، الفن القصصي، ص 80.
[7] شوقـــي ضيـــف، المرجـع نفسه، ص 80.

الناس ثم تطور هذا الفن الأدبي في القرن الرابع الهجري، واتخذ شكلا فنيا خاصا به وضع له أصوله الفنية. " [1]

وهي عبارة عن قصة قصيرة مسجوعة تتضمن عظة أو ملحة أو نادرة، يتبارون في كتابها إظهارا لما يمتازون به من براعة لغوية وأدبية. " [2]

وفي الأخير " استقر مفهوم المقامة الاصطلاحي، وقد استعملها البديع تعبيرا جامعا لأحاديث منمقة الأسلوب، مساقها السرد القصصي، ومدارها في الأعم والأغلب على الكدية وعرض جوانب في العلم واللغة والاجتماع. " [3]

[1] عثمان موافي، في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصـــــــــر، ط 1، د ت، ج 1، ص 75.

[2] هاشم صالح مناع، روائع من الأدب العربي، " الجاهلي " الإسلامي " " العباسي " ، دار الوسام ومكتبة الهـــلال، بيروت، لبنـان، ط 1، 1990م، ص 292.

[3] مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب الأندلسي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصـــــــــر، د ط، 2000م، ص 266.

ثانيا: العناصر الفنية للمقامة.

المقامة جنس أدبي ظهر في القرن الرابع الهجري، وهي شبه قصة قصيرة، تكتب بلغة إيقاعية ومسجوعة، كان الأدباء يتنافسون فيها لإظهار البراعة اللغوية والأدبية.
وللمقامة خصائص هي:

أ. الأسلوب:

الأسلوب هو نهج الكلام، " فأسلوب المقامة هو الأسلوب العالي في الكتابة أسلوب الخاصة دون سواها، تنقبض فيه العبارة انقباض إيجاز، وتسترسل استرسال ترادف ويتراص فيه التراكيب تراص إعجاز، وتنتفض فيه الجملة بعد الجملة انتفاض تعجير وتتعاقب فيه الألفاظ تعاقب اختيار دقيق، وأداء وثيق، وتحتشد فيه الحوشيات والإشارات والتلميحات احتشاء استعلاء وتضييق، و تصور فيه الألغاز والأحاجي على موسيقى الجناس والطباق والسجع. " [1]

والأسلوب في المقامة غاية تصنيعية يقصد بها المؤلف قصدا ويعمل على تجويدها ما استطاع، فيكب على العبارة يركبها تركيب جزالة وأناقة، ويوشيها بوجوه البيان والبديع، حتى لكأن الحرف فيها ينافس الحرف في الأداء، واللفظة تساجل اللفظة في الزخرفة وحتى لكأنُ هنالك عالما من الفسيفساء العجيبة، وهكذا يتضح أن القصص في المقامة وسيلة لا يعيره الكاتب اهتمامه إلا بقدر ما هو وسيلة فكان جوهر المقامة بسط المعارف، ورصف معلومات وجمع ألفاظ، وتنميق أسلوب، وكان ما سوى ذلك أعراضا ووسائل. " [2]

ويستخدم كتاب المقامات في أساليبهم لغة متينة أنيقة، وغريبة ثقيلة، فهم لا يهتمون بالموضوع بقدر اهتمامهم بالألفاظ حيث " يعتمد أسلوب المقامة في صياغته، بوجه عام على المصطلح الغريب والتأنق في اختيار الألفاظ، والحق أن الغريب في الألفاظ من أبرز خصائص المقامات. " [3]

---

[1] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، ص 622.
[2] حنا الفاخوري، المرجع نفسه، ص 623.
[3] عبد المالك مرتاض، فن المقامة في الأدب العربي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والتوزيع النشـــر، ط 1، 1998م، ص 375.

ويقوم أسلوب المقامة على الحوار والسرد وقد " وضع أسلوب المقامة في شكل حوار قصصي، ويكون فيها الحوار محدود بين الراوي والبطل الذي يكون أدبيا محتالا شحاذا يعرف كيف يلعب بعقول الناس ويستخرج منهم الدراهم عن طريق خلابته وفصاحته والحوار يأتي على الهامش، فالقصد الأول في المقامة هو الإتيان بمجاميع من الألفاظ والأساليب. " [1]

" وتكون عقدة ما في طريق البطلين على نحو ما فيجدان البحث والسير وراء هذه العقدة حتى يظفر بحل لها نهاية الأمر. " [2]

" و إن ما يؤطر المقامة سرديا هو راوي مجهول داخل مستوى روايته يظهر راوي معلوم، يقوم الآخر برواية أفعال البطل وأحيانا هذه السلسلة المتعاقبة من الرواية يقوم البطل برواية أفعاله. " [3]

يوجد هنا اختلاف الرواة في المقامة فهناك:

أ. الراوي الرئيسي المعين:

تنحصر شخصية الراوي في المقامة ممثلا " في شخصية عيسى بن هشام " [4] وذلك في مقامة بديع الزمان الهمداني، فالراوي الرئيسي يختلف من مقامة إلى أخرى حسب تعيين صاحب المقامة.

ب. الراوي الثاني:

وهو " السارد الذي يحدثنا في كل مقامة، وينتقل إلينا ما سمعه عن شخصية عيسى بن هشام، التي جاءت في مقامات بديع الزمان الهمداني، حيث يضع نفسه من بين المستمعين الذين حظروا حلقة ابن هشام فيقول عند كل بداية كل حلقة مقامية " حدثنا عيسى بن هشام " وهو راوي لا متميز بالفردية والحرية بقدر ما يستقي مصداقية ما يرويه، عندما يضع نفسه وسط حشد من المسمعين المعاصرين للراوي الأول، فلا يكون

---

[1] شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، الفن القصصي، ص 33.

[2] عبد المالك مرتاض، القصة في الأدب العربي القديم، دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والنشر، ط 1، 1968م، ص 201.

[3] آمنة الربيع، البنية السردية للقصة القصيرة، سلطنة عمان، 1980م، 2000م، ص 32.

[4] عبد المجيد قباني، الراوي ومظاهر التلقي في الأدب الشعبي العربي القديم من المقامة إلى السيرة الشعبية، قسم الأدب العربي، جامعة حيدر بسكرة، العدد 2009، ص 18.

صوته منفردا بل هو صوت الجماعة المستمعة التي سرعان ما تتحول إلى جماعة من المرسلين الثانويين للمقامة. " [1]

ج. **الراوي الثالث غير المعين:**

وهو " متلقي المقامة، ما يعني أن المقامة في حد ذاتها تصبح حقلا خطابيا للإرسال، والتلقي ينقسم إلى ثلاثة ثنائيات ضدية من مرسلين ومتلقين، أي تكون حلقة دائرة لثلاثة متكلمين، وثلاثة مستمعين فالدائرة تنطلق من الراوي الأول المعروف المعين لتنتهي عند الثالث غير المعين. " [2]

ب. الموضوع:

" ليست المقامات ذات موضوع واحد يعني الكاتب بمعالجته، أو يهتم لتفصيله، وإنما هي شتيت من الموضوعات. " [3]

" وتقوم مواضيع المقامة في أغلبها على النقد الاجتماعي اللاذع لكثير من عيوب المجتمع ونقائضه، بالإضافة إلى الكدية أو الشحاذة الأدبية ومن البديهي أن الموضوعات التي يمكن أن يتناولها مؤلفوا المقامات عبر العصور يصعب أن تقع تحت حصر، ولذلك نجد أن المقامات تغلب عليها الموضوعات الوعظية، وأخرى تنزع إلى الجدل وغيرها يميل إلى الخرافات المتخيلة وقد تتعرض المقامات لبعض المشكلات الطبقية، أو لبعض العادات والتقاليد عند الطبقات الوسطى والدنيا في المجتمعات المختلفة، وربما تعالج بعض المشكلات اللغوية والنحوية، والأدبية والفقهية ولكل مؤلف أن يودع مقاماته ما يشاء من الخواطر الوجدانية والأفكار الأدبية والفلسفية، أو الدعابات الهزلية والمجونية. " [4]

" وتقدم بديع الزمان في مقاماته فأقام لهم معارض منسقة من ذلك وتبعه الحريري، وتوسع من خلفوهما بالمقامة فأجروها في مختلف الشؤون الثقافية فحملوها نحوَا وفقهَا، وطبَا ووضعوا فيها مناظرات خيالية، كما وضعوا فيها جوانب من مجتمعاتهم، ولكنهم

---

[1] عبد المجيد قباني، المرجع نفسه، ص 18.

[2] عبد المجيد قباني، الراوي ومظاهر التلقي في الأدب الشعبي العربي القديم، ص 19.

[3] حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم، ص 635.

[4] محمد يونس عبد العال، أدبيات في النثر العربي قضايا وفنون ونصوص، دار نوبار للطباعة، القاهرة مصر، ط 1، ص 242.

لم يفكوا عنها أبدا قيود اللفظ و أسجاعه، وما رسفت فيه من أعلام البديع، وأثقال اللغة وألفاظها العويصة، بل كان ذلك مقياس المهارة والبراعة. " [1]

" وتعتمد المقامة على الطريقة الإخبارية التي تنقل المتلقي إلى عوالم متخيلة انطلاقا من بنية الحكاية المسرودة، أو الخبر الذي ينقله الراوي في حد ذاته فلا يمكن أن نتعرف على الراوي إلا من خلال الرسالة الإخبارية التي ينقلها، فتستعيظ عن كل ذلك براوي واحد يختزل كل المعارف ويكون المصدر الأول والأخير والخبر، وتمثله شخصية عيسى بن هشام الذي يؤسس لبقية الرواة في المقامة. " [2]

" فأحداث المقامة غير مرتبطة بزمان ومكان مجرد، أو معين فالمؤلف متحرر منها فنصوص المقامة تأتي في صورة زمن لا مرجع له إنه إسناد متخيل لا يأبه للزمن الواقعي المرجعي. " [3]

[1] شوقي ضيف، فنون الأدب العربي، الفن القصصي، ص 106.
[2] عبد المجيد قباني، الراوي ومظاهر التلقي في الأدب الشعبي العربي القديم، ص 64.
[3] عبد المجيد قباني،المرجع نفسه، ص 69.

ثالثا: أعلام المقامة:

يوجد العديد من الشعراء والأدباء الذين كتبوا في المقامة العربية نذكر أشهرهم، " بداية بمبتكر فن المقامات وهو « أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحي بن سعيد بديع الزمان الهمداني » (350 – 397 هـ)، وله واحد وخمسون مقامة، ثم جاء بعده « أبو القاسم بن علي بن محمد الحريري البصيري » (516 هـ) وله أربعة وخمسون مقامة، وظهر بعدهم « أبو نصر عبد العزيز بن عمر » المعروف بابن نباتة السعدي ما بين (324 – 405 هـ)، وكذلك « أبو الحسن المختار ابن الحسنين عبدون بن سعدون بن بطلان » (460هـ)، « وأبو النصر عبد الله ابن الحسن بن داوود بن ناقيا » (485هـ)، ثم « أبو حميد محمد ابن محمد الغزالي » (ت506هـ) و « أبو الطاهر السرقسطي الأشتركوني » (ت 537هـ)، و « يحي بن سعيد النصراني » (579هـ)، و « إبن الجوزي » (597هـ)، و « أحمد ابن بكر الرازي الحنفي» ومن بعدهم نجد « شمس الدين ابن صقيل الجزري » (ت701هـ)، ومحمد ابن ابراهيـــم الدمشقـــي (ت828هـ) " [1]

" و « ابن الوردي » (ت749هـ)، و « أبو محمد عبد الله ابن إبراهيم الأزدي » (750هـ)، و « ابن حبيب الحلبي » (889هـ)، و « السيوطي » (ت911هـ) و « شهاب الدين ابن الخفاجي » (1029هـ) . " [2]

و" نجد كذلك « أحمد البربر » (1226هـ)، ونقولا ترك (1244هـ) و « حسن العطار » (1250هـ)، و « شهاب الألوسي » (1270هـ) و « نصيف اليازجي » (1277هـ)، و « أحمد فارس الشدياق » (1304هـ) و« عبد الله النديم » (1314هـ)، و« إبراهيم الأحدب » (1380هـ) و « عبد الله الفكري » (1307هـ)، ومحمد المويلحي (1347هـ) و « حافظ إبراهيم » (1351هـ) ". [3]

" واستمرت المقامة إلى العصر الحديث كتب فيها محمد علي البرواني (1887م/1953م) والشاعر الشيخ عبد الله بن علي الخليلي (1922م/2000م). " [4]

---

[1] مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب الأندلسي، ص 482.
[2] مصطفى السيوفي، المـــرجـــع نفســـــه، ص 482.
[3] محمد يونس عبد العال، أدبيات في النثر العربي، ص 244.
[4] آمنة الربيع، البنية السردية للقصة القصـيرة، ص 31.

تعد المقامة حكاية واقعية أو خيالية يرويها شخص وتقوم على الحوار بين شخصية الراوي وشخصية البطل بأسلوب مسجوع، وكذلك الإكثار من استخدام المحسنات البديعية بأنواعها المختلفة، وأهم موضوعاتها الكدية والوعظ والإرشاد وغيرها.

المبحث الثاني: المحسنات البديعية.

1. مفهوم البلاغة:

أ. البلاغة لغة:

البلاغة تعني الوصول والانتهاء، يقال، بلغ الشخص بلاغة إذ وصل بكلامه إلى ما يريده له من إمتاع وإقناع.

وفي لسان العرب " بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا، وصل وانتهى، تبلغ بالشيء وصل إلى مراده، البلاغ ما يتبلغ به ويتوصل إلى الشيء المطلوب.

البلاغ: ما بلغك، الإبلاغ: الإيصال، بلغت المكان بلوغا وصلت إليه وكذا إذا شارفت عليه.[1]

والبلاغة: الفصاحة والبلغ والبليغ: البليغ من الرجال، رجل بليغ

وبلغ: حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه والجمع بلغاء، وقد بلغ بالضم بلاغة أي صار بليغا. [2]

ب.البلاغة اصطلاحا:

لقد تعددت تعاريف البلاغة عند الأدباء والبلاغيين نذكر أهمها:

- **تعريف علي بن أبي طالب (ت40هـ):** " البلاغة إفصاح القول عن حكمة مستغلقة إبانة عن مشكل ". [3]
- **تعريف ابن المقفع:** " البلاغة اسم جامع لمعاني تسري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع ومنه ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون رسائلا، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعاني، والإيجاز هو البلاغة، وأما الخطب بين السماطين وفي إصلاح ذات البين فالإكثار في غير خطل والإطالة في غير إملال " [4]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، تح، خالد رشيد القاضي، دار صبح وإديسوفت، بيروت، الطبعة الأولى 1427- 2006، مادة بلغ، ص 468.

[2] ابن منظور، لسان العرب، المرجع نفسه، مادة بلغ، ص 469.

[3] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ت، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار عيسى الحلبي وشركائه، ط 1، 1971م ص 58.

[4] أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، ت، درويش جودي، دار الجيل، بيروت لبنـــان، ط 5، 1401 هـ ، 1981م، ج 1، ص 78، 79.

- **تعريف الخليل بن أحمد (ت175هـ):** " البلاغة ما قرب طرفاه وبعد منتهاه. " [1]
- **تعريف أبو هلال العسكري (ت395هـ):** " البلاغة كل ما تبلغ به المعاني قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة معرض حسن ". [2]
- **تعريف أبو يعقوب السكاكي (ت626هـ):** " البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حدا له اختصاص بتوفيه خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها ". [3]

والملاحظ من خلال هذه التعاريف أنها لا تحدد بوضوح البلاغة فما هذه التعاريف إلا أوصاف للبلاغة.

وتتألف البلاغة العربية من ثلاثة علوم هي: علم المعاني والبيان والبديع.

مفهوم علم البديع:

1. البديع لغة:

ورد في لسان العرب " بدع الشيء يبدعه بدعا وابتداعه، أنشأه وبدأه، وبدع الركية استنبطها وأحدثها والبديع والبدع، الشيء الذي يكون أولا ". [4]

" والبديع المحدث العجيب والبديع، والمبدع وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال. " [5]

والبديع من أسماء الله الحسنى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها لأنه بدأ الخلق على ما أراده على غير مثال تقدمه.

فقد ذكرت كلمة البديع في القرآن الكريم في قوله تعالى:

« قُل مَا كُنتُ بَدعًا من الرُسُل » [6]

---

[1] الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة، ت، محمد عبد الحميد، دار الجليل بيروت لبنان، ط 1، 1423 ه، 2003م، ص 145.

[2] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص 16.

[3] أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ت، عبد الحميد هنداوي، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2000، ص 520.

[4] ابن منظور، لسان العرب، ص325 .

[5] ابن منظور، المرجع نفسه، ص 325.

[6] سورة الأحقاف، الآية 9.

2. البديع اصطلاحا:

يعرفه ابن خلدون " هو النظر في تزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق: إما بسجع يفصله، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه أو ترصيع بقطع أوزانه، أو تورية من المعنى المقصود بإبهام معنى أخفى منه لاشتراك اللفظ بينهما، أو طباق بالتقابل بين الأضداد و أمثال ذلك " [1]

كما يعرفه الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن على أنه: " علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة. " [2]

وقد أشار الجاحظ إلى البديع بقوله: " والبديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة وأربت على كل لسان، والشاعر الراعي كثير البديع في شعره، وبشار حسن البديع، والعتابي يذهب في شعره في البديع مذهب بشار " [3]

أنواع المحسنات البديعية:

والمحسنات البديعية نوعان معنوي يرجع إلى تحسين المعنى والذات ونوع لفظي يرجع إلى تحسين اللفظ أصلا.

وتعد المعاني هي الأصل و الألفاظ هي التوابع لها، فإننا نبدأ بالمحسنات المعنوية.

1. **المحسنات المعنوية:** وهو ما كان الحسن فيه راجعا إلى المعنى أصلا وإلى اللفظ تبعا وله صورة تتدرج تحتما منها:

الطباق لغة: الجمع بين الشيئين، يقولون: طابق فلان بين ثوبين، ثم استعمل في غير ذلك، فقيل: طابق البعير في سيره إذ وضع رجله موضع يده، وهو رادعٌ إلى الجمع بين الشيئين. [4]

الطباق اصطلاحا: الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده في كلام أو بيت شعر كالجمع بين اسمين متضادين، والطباق، أنواع، طباق الإيجاب، وطباق السلب وإيهام التضاد. [1]

---

[1] عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ص 7.
[2] عبد العزيز عتيق، المرجع نفسه، ص 7.
[3] عبد العزيز عتيق، المرجع نفسه، ص 55.
[4] أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص 205.

وقد أجمع الناس على أن المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضده في جزء من أجزاء الرسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة وخالفهم قدامة بن جعفر الكاتب، فقال: المطابقة إيراد لفظتين متشابهتين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى.

المقابلة: هي أن يؤتي بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب والبلاغيون مختلفون في أمر المقابلة، فمنهم من يجعلها نوعا من المطابقة ويدخلها في إيهام التضاد، ومنهم من جعلها نوعا مستقلا من أنواع البديع.[2]

المبالغة: عرفها ابن المعتز قدامة بن جعفر بقوله: المبالغة أن يذكر الشاعر حالا من الأحوال في شعر، لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون فيها قصد. [3]

الإغراق: في اصطلاح البديعيين: هو الوصف الممكن وقوعه عقلا لإعادة، أو بعبارة أخرى: هو الإفراط في وصف الشيء بما يمكن عقلا ويستبعد وقوعه عادة. [4]

الغلو: امتناع الوصف المدعى عقلا وعادة، وعلى هذا فإذا كان الإغراق فوق المبالغة بمعنى التبليغ في تجاوز الحد والإفراط في الصفة المدعاة، فإن الغلو فوق المبالغة والإغراق من هذه الناحية.

التورية: يعرفها صلاح الدين الصفدي في كتابه « فض الختام عن التورية والاستخدام » بقوله: " التورية هي أن يأتي المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين، قريب وبعيد، فيذكر لفظا يوهم القريب إلى أن يجيء بقرينة يظهر منها أن مراده البعيد. " [5]

الارصاد: يعرف هذا اللون البديعي بأسماء متعددة منها التسهيم و التوشيح والتبيين وهو جعل المتكلم في كلامه ما يدل على نهايته إذا عرف حرف الروي وقيل إنما سمي هذا اللون البديعي بالارصاد لأن السامع يرصد ذهنه للقافية بما يدل عليها فيما قبلها.

---

[1] عبد العزيز عتيق، المرجع نفسه، ص 77.
[2] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم البديع، دار النهضـــة العربية بيروت لبنان، ص 86.
[3] ابن المعتز، إغناطيوس فرانشكو فسكي دار المسيرة، بيـــروت، ط 3 ، 1982م، ص 58، 66.
[4] عبد العزيز عتيـق، (المرجع نفسه) ص 101.
[5] عبد العزيز عتيـق، (المرجع نفسه) ص 105.

الاقتباس: وهو أن يضمن المتكلم كلامه شعرا كان أو نثرا شيئا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف. [1]

التضمين: هو إدخال الأديب في إبداعه الأدبي أقوالا أو أشعارا مشهورة لغيره وقد يأتي التضمين لتوثيق دلالة أو تأكيد موقف أو ترسيخ معنى، أو لمؤازرة النص إما بتضمين صريح وإما بتلميح وتلويح أو يكون – من وجه آخر – رفضا لمقولة أو نفيا لمعتقد. [2]

الاطراد: أن تطرد للشاعر أسماء متتالية يزيد الممدوح بها تعريفا، لأنها لا تكون إلا أسماء آبائه تأتي منسوقة صحيحة التسلسل غير منقطعة، من غير ظهور كلفة على النظم ولا تعسف في السبك، بحيث يشبه تحدرها بإطراء الماء لسهولته وانسجامه، فمتى جاءت كذلك دلت على قوة عارضة الشاعر وقدرته. [3]

ومن بين المحسنات البديعية المعنوية أيضا، الإيغال ، التتميم، التقسيم، الالتفات، الجمع، التفريق، الجمع مع التقسيم، الجمع مع التفريق، مراعاة النظير، التجريد.

2. المحسنات اللفظية: هو ما كان الحسن فيه راجعا إلى اللفظ أصلا، وإلى المعنى تبعا

ومن المحسنات اللفظية نجد:

الجناس: ومن أوائل من فطنوا إليه عبد الله بن المعتز، فقد عده في كتابه ثاني أبواب البديع الخمسة الكبرى عنده وعرفه بقوله التجنيس أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها. [4]

السجع: اتفاق الفاصلتين أو الفواصل في الحرف الأخير أو في أكثر من حرف، وقد يكون هذا الاتفاق في الحروف، أو في الأوزان أو فيها معا، ويقع في الشعر كما يقع في النثر، لكنه في النثر أكثر منه في الشعر، ومن الإنصاف القول بأن النثر أولى به من الشعر. [5]

---

[1] زين كامل الخويسكي، وأحمد محمود المصري، فنون بلاغية، الطبعة الأولى 2006 م، ص 227، 232.
[2] رجاء عيد، النص والتناص، مجلـــــة علامات ج 18، المجلد الخامس 1995 م، ص 185.
[3] زين كامل الخويسكي، وأحمـــد محمـــــــود المصـــري، المرجع نفســـه ص 248.
[4] ابن معتز، البديع: إغناطيوس فلراتشكو فسكي دار المسيرة بيـــروت، ط 3، 1982، ص 25.
[5] زين كامل الخويسكى، وأحمد محمـــــود المصـــــري، المرجـــــع نفســـه، ص 171.

رد العجز على الصدر: أول من تكلم عن هذا الفن البديعي اللفظي عبد الله ابن المعتز، فقد عده في كتابه أحد فنون البديع الخمسة، ويعرفه الخطيب القزويني بقوله « هو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرهما، وهو في النظم أن يكون أحدهما في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو آخره أو صدر المصراع الثاني.

لزوم ما يلزم: وقد عرفه القزويني بقوله: " هو أن يجيء قبل حرف الروي أو ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في السجع » [1]

ولزوم ما لا يلزم من فنون البديع اللفظي الذي يرد في النثر والنظم على السواء.

الموازنة: هي أن تكون ألفاظ الفواصل في الكلام المنقور متساوية في الوزن، وأن بكون صدر البيت الشعري وعجزه متساوي الألفاظ وزنا، وللكلام بذلك طلاوة ورونق وسببه الاعتدال، لأنه مطلوب في جميع الأشياء، وإذا كانت مقاطع الكلام معتدلة وقعت من النفس موقع الاستحسان وهذا لأمراء فيه لوضوحه. [2]

التشريع: ويسمى التوشيح والتوأم، هو بناء البيت على قافيتين يصح المعنى عند الوقوف على كل منهما وتفصيل ذلك أن يبني الشاعر قصيدته على وزنين من أوزان الشعر وقافيتين. [3]

---

[1] عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم البديع، ص 225، 233.
[2] عبد العزيز عتيق، المرجع نفسه، ص 239.
[3] عبد العزيز عتيق، المرجع نفسه ص 241.

فعلى قدر مراعاة المتكلم لمقتضيات البديع يكون كلامه أبلغ في النفوس و أوقع، ذلك نرى تنوع في المحسنات البديعية في العديد من الأعمال الأدبية وذلك لما توقعه في نفسية القارئ، وفي تقريب المعنى إلى الذهن.

الفصل الثاني

المحسنات البديعية في مقامة الزمخشري

المقامة من الفنون الأدبية النثرية التي تساعد في العصر العباسي فنجد الزمخشري من الكتاب الذين يتفننون في كتابة هذا الفن، فقد كتب الزمخشري مقاماته قاصدا بكتابته التعليـم، فقد أختار موضوعات مقاماته تامة العدد مختلفة العناوين والأسماء، وموجهة كلها على نفسه، فقد حافظ الزمخشري على الشكل الفني التقليدي للمقامة فجاء فيها الكثير من المحسنات البديعية، فمن بين هذه المقامات التي أبدعها الزمخشري نختار مقامة النهي عن الهوى لإجراء دراسة حول هذه المقامة، واستخراج أهم المحسنات البديعية من هذه المقامة.

مدخل:

تعد مقامة النهي عن الهوى إحدى مقامات أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في كتابه، مقامات الزمخشري، فقد تحتل المرتبة الأربعين من ترتيب المقامات، فتسبقها مقامة الفرقان وتليها مقامة التماسك، فتعتبر من المقامات الطوال مقارنة مع بقية المقامات حيث تتكون من ثمانية وثلاثون جملة كل جملة تحمل في طياتها معنى ذا دلالة مختلفة عن الأخرى، وأن هذه الجمل تكون مترابطة فيما بينها ومكملة لبعضها البعض، فقد امتزجت هذه المقامة بالشعر وذلك بظهور أربعة أبيات شعرية وظفها الزمخشري في كتابة مقامة النهي عن الهوى.

يبدأ الزمخشري مقامة النهي عن الهوى كباقي مقاماته بـ :

« يا أبا القاسم »[1] فنجده يقول في مقاماته:

« يا أبا القاسم إن الذي خلقك فسواك. ركب فيك عقلك وهواك. » [2]

أي أن الله تعالى هو الذي خلقك فسواك وجعلك في أحسن مستوى الخلق ووهب لك العقل والنفس لتعيش بهم في الدنيا.

« وهما في سبيل الخير والشر دليلاك، وفي مراحل الرشد والغي نزيلاك. » [3]

فالعقل والهوى هما في طريق الخير والشر دليل للإنسان في معرفة الخطأ من الصواب، وهما في مراحل الرشد والظلال رفيقاك أي يكون بجانبك ولا يفارقان الإنسان أبدا.

« أحدهما بصير عالم يسلك بك في البردين المحجة البيضاء ويرد بك رزق المناهل، والآخر أعم جاهل يخبط بك في بيضة الهاجرة البيد ذات المعاطش والمجاهل. » [4]

أي يصير أحدهما بصير عالم يقود بك في الغذاة والعشي إلى الطريق الواضح التي داوم الناس على إتباعها، ويكون نقي مثل الماء الأزرق الصافي، ويكون الآخر أعمى جاهل يدفع إلى وسط النهار القائظ في صحراء ذات مكان خالي من موارد الماء وأرض مجهولة لا توجد فيها معالم ولا أثر، فيتحدث الزمخشري هنا أن العقل يرشدك إلى الطريق الصحيح والهوى يؤدي بك إلى الهلاك فيصبح صاحبه أعمى وجاهل.

« فأي دليليك أمهر بالدلالة وأحذق. وأيهما أجدر بأن يتبع وأخلق أمن تفوز منه بالهداية وحسن الدلالة. أم من يفوز بك في تيه الغي والضلالة » [5]

---

[1] أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مقامات الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1982م، ص 194.

[2] المرجع نفسه، ص 194.

[3] المرجع نفسه، ص 195.

[4] المرجع نفسه، ص 195.

[5] المرجع نفسه، ص 195.

فيقصد الزمخشري هنا أي واحد منهما أحسن دليل لصاحبه في معرفة الأمور وأي واحد أحق بالإتباع، أمن يدخلك إلى الطريق الصحيح ويؤدي بك إلى الهداية وذلك بإتباع العقل، أما من يؤخذك ويدخلك في أرض مجهولة أي أرض مهلكة هذا بإتباع الهوى.

« تعلم أنه ليس من العدل. أن تستحب الهوى عن العقل.» [1]

فيخبر الزمخشري أنه ليس من العدل أن تحب الهوى وتتعلق به، فيقصد الزمخشري هنا أي واحد منهما أحسن دليل لصاحبه في معرفة الأمور، وأي واحد منهما أحق بأن يتبع ويكون الدليل المنير لصاحبه، أي أن الإنسان يتبع في حياته جانب العقل أم جانب الهوى.

« أمن تفوز منه بالهداية وحسن الدلالة. أم من يفوز بك في تيه الغي والضلالة.» [2]

فالزمخشري هنا يتحدث عن الفوز الذي يدخله إلى الطريق الصحيح ويؤدي به إلى الهداية وذلك بإتباع العقل.

أم من يفوز بك، أي من يأخذك ويدخلك في أرض مجهولة، فهذا المكان يتيه فيه الإنسان ويضيع فتعتبر أرض المهلكة، وكل ذلك يحصل بإتباع طريق الهوى الذي يؤدي إلى التهلكة والضلال.

« تعلم أنه ليس من العدل. أن تستحب الهوى عن العقل.» [3]

فيعلم الزمخشري ويخبره انه ليس من العدل أن تحب الهوى وتتعلق به وتهمل العقل، فيقصد هنا أنه من غير العادل أن تهمل وتترك العقل، فالعقل أولى من إتباع الهوى.

« إن جانب العقل أبيض كطرة الفلق، وجهة الهوى سوداء كجدة الغسق.» [4]

فيرى الزمخشري أن جانب العقل أبيض كحاشية انتشار الفجر أي أنه يعطي للعقل اللون الأبيض الخالي من السواد،و الفواحش فمن يتبع جانب العقل فهو يكون في نور.

---

[1] أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مقامات الزمخشري، ص 195.
[2] المرجع نفسه، ص 195.
[3] المرجع نفسه، ص 195.
[4] المرجع نفسه، ص 195.

وهو يرى أيضا أن جهة الهوى تكون سوداء كسواد الليل وظلامه أي أن طريق الهوى يكون مظلم.

« إن اتجه لك أمر فعرضته على نفسك فانظر أيهما إليه المائل، وله القابل. » [1]

يقصد هنا إن تبين لك أمر ما فتعرضه على نفسك فيجب عليك الاختيار والنظر إلى جهة تميل إلى جهة العقل أم جهة الهوى.

« فإن كان العقل فأحر به أن تلتزمه التزام الصب وتعتقله. وأن تجعل يديك له وشاحا وتعتنقه.» [2]

نرى هنا أن الزمخشري يتعجب من جدارة العقل، فجدير بهذا الأمر (إذا مال إليه العقل وقلبه) أن يعكف عليه الإنسان، وعليك أن تلتزمه التزام العاشق وتتعلق به وأن تجعل يديك وشاحا له وتعتنقه أي بمعنى عانقه، وتتعلق بهذا العقل مثل التعلق بالعشيق.

« وان لا تخلى عنه و إن اشتجرت دونه الرماح، واخترطت بينك وبينه الصفاح، واعترض الموت الذعاف، وجاء كل ما تكره وتعاف.» [3]

فيتحدث هنا عن الالتزام بالعقل وعدم التخلي عنه فلا يتركه ولا يفرط فيه وإن اختلفت وتشابكت عليه الرماح وإن اخترقت بينك وبينه الدروع واعترض الموت القاتل حتى لو جاء كل من تكره وتعاف لا تتخلى عنه وتبقى ملتزم به.

« وإن كان الهوى ففر منه فرارك من الأسد، واحذره حذارك من الأسود وإن رأيته بكل ما يسرك مصحوبا.» [4]

ونجد الزمخشري يتحدث عن الهوى، فإن كان يتتبع الهوى فيفر منه ويتخلى عنه ويحذر منه حذر الحية الخبيثة.

---

[1] أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مقامات الزمخشري، ص 195.
[2] المرجع نفسه، ص 196.
[3] المرجع نفسه، ص 196.
[4] المرجع نفسه، ص 196.

حتى ولِن جاء إليك ورأيته مصحوب بما يسعدك وتجد فيه كل ما تتمناه بجانبك، فالزمخشري هنا يطلب الابتعاد عن الهوى وطريق الخبث، ولا تغتر بمظاهر الأمور وتبقى محافظا.

« وإن كان الأمر بين بين فتبين وثبت واستعمل الأناة والتؤدة، وشاور من استنصحت منهم الجيوب والأفئدة، وعرفت أنهم ممن يوصى بالحق، ويومي إلى الصدق. » [1]

فهو يرى هنا إن وجد الأمر بين الهوى والعقل فتبين وفكر واستعمل التأني في هذا الأمر، وشاور من وجدت عندهم النصيحة الحسنة أي عند هؤلاء غير البخلاء وأهل الكرم والقلوب السليمة وعرفت أنهم من يوصى بالحق ويشير إلى الصدق.

« فإن طلع من كنانتهم سهم صائب، وأضاء لهم رأي ثاقب، فذاك وإلا فاتق النفع الذي يلوح لك من جيبه، بضرر تحس أنه كمين وراء غيبه، واعمل على الإخلال به وتخليته.» [2]

فيخبرنا الزمخشري أن هؤلاء الذين يجد عندهم النصيحة الحسنة إن طلع من علبة سهامهم سهم صائب يجب أن تتبع ذلك الرأي، وإذا كان هذا الرأي لم يخرج من كنانتهم فلا تتبعه فقد يكون فيه منفعة وبعدها ضرر، فاعمل على تركه وتبين الفساد فيه.

« ولا تحدث نفسك بتوليه ولا توليته، وكن في تقواك كسالك طريق شائك لا بد له من أن يتوقى ويتحفظ، ويأخذ حذره ويتيقظ. » [3]

يتحدث صاحب المقامة عن عدم إحداث النفس بهذا العمل، أي لا تتولى أنت العمل به ولا تكلف غيرك أن يعمل به، ويوصي أيضا الزمخشري بالتقوى، حيث يكون في تقواه كسالك طريق شائك لا بد له من أن يقي نفسه ويأخذ حذره من الشوك.

« ولا تحدث نفسك بتوليه ولا توليته، وكن في تقواك كسالك طريق شائك لابد له من أن يتوقى ويحتفظ ويأخذ حذره ويتيقظ. » [4]

يوصي صاحب المقامة هنا بعدم إحداث النفس بهذا العمل، أي لا تعمل به ولا تكلف غيرك أن يعمل به، ويوصي كذلك بالتقوى وإتخاذ الحذر.

---

[1] أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مقامات الزمخشري، ص 196.
[2] المرجع نفسه، ص 197.
[3] المرجع نفسه، ص 197.
[4] المرجع نفسه، ص 197.

من خلال دراستنا لمقامة الزمخشري النهي عن الهوى يتبين لنا أن الزمخشري قد استعمل الزخرفة اللفظية والصنعة البلاغية، وانتقاءه لغريب الكلمات وهذا الأسلوب قد شاع في القرن الرابع والخامس للهجرة عند معظم الكتاب حيث أصبحت هذه النزعة البلاغية سمة غالبة على كتاب المقامات وقتها، فالزمخشري سار على خطى من قبله في أحكام صنعته ليحفظ للمقامة جلالها وجمالها، لأن ذلك العصر غلبت عليه الصنعة حيث اهتم الأديب بالصناعة اللغوية والبلاغية.

المبحث الأول: المحسنات المعنوية

فمقامة النهي عن الهوى تحتوي على مجموعة من المحسنات المعنوية حيث تتمثل في ما يلي:

1.الطباق:

ويظهر الطباق في قول الزمخشري " وهما في سبيل الخير والشر دليلاك " [1]

ويتمثل الطباق في كلمتي الخير وضدها الشر، وهو ما يسمى بطباق الإيجاب، فنلاحظ أنها موازنة ضدية قائمة على إثبات مضمونها.

من خلال الآخر فالخير يثبت من خلال الشر والشر يثبت من خلال الخير، وكلاهما في تضاد مع الآخر، يؤدي إلى مفهوم التنازع بين الحالين.

ونجد في قوله " مراحل الرشد والغي نزيلاك " [2]، طباق يتمثل في لفظتي الرشد وضدها الغي.

فنجد أن كلمتي الرشد والغي لفظتان متضادتان تفهم لفظة الرشد من خلال ضدها الغي والغي تفهم من خلال سابقتها الرشد وكلاهما مضاد للآخر.

ويتمثل الطباق في قوله أيضا " إن جانب العقل أبيض كطرة الفلق، وجهة الهوى سوداء كجدة الغسق. " [3]

ويتمثل في لفظتي أبيض وضدها أسود.

حيث نجد المفارقة بين الأبيض والأسود فكل منهما ضد للآخر، فقد ذكر لون الأبيض والأسود، فالأبيض يمثل جانب العقل الطاهر، والأسود هو جانب الهوى الفاسد، وقد أفاد اللونين هنا الكناية.

---

[1] أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مقامات الزمخشري، ص 194.
[2] المرجع نفسه، ص 194.
[3] المرجع نفسه، ص 195.

ويقول الزمخشري: " أحدهما بصير عالم (...)، والأخر أعمى جاهل " [1]، ويتمثل الطباق في كلمتي البصير وضدها الأعمى ولفظة العالم وضدها الجاهل.

وأراد ان يبين لنا أن جانب البصير ويقصد به العقل وهو جانب أحق بالاتباع وقام بتأكيد المعنى بتوظيف ضده لفظة أعمى، ونجد كذلك لفظتي العالم والجاهل، حيث جمع بين ثنائيات متضادة لا يضاح المعنى.

بلاغة الطباق:

" إن بلاغة الطباق لا تكمن في مجرد جمعه بين ألفاظ متضادة وإنما ترجع بلاغته إلى إيضاح المعنى وتأكيده وتقويته عن طريق المقارنة بين الضدين، فالضد يجلب إلى الذهن ضده أو مقابله لأنهما متضايفان ويستند أحدهما على الآخر، كما يضيف الطباق إلى الأسلوب جمالا وبهاء إذا جاء غير متكلف أو مستكره وكان المعنى هو القائد إليه والدافع نحوه، وقد يصبح الطباق ضرورة لا بد من استخدامها ولا يمكن توصيل المعنى بدونها. " [2]

2. المقابلة:

ومن أمثلة المقابلة التي تظهر في مقامة النهي عن الهوى قول الزمخشري " أحدهما بصير عالم يسلك بك في البردين المحجة البيضاء، ويرد بك رزق المناهل والآخر أعمى جاهل يخبط بك في بيضة الهاجرة البيد ذات المعاطش " [3]

فقد أتى الزمخشري بمعان متوافقة ثم قابله على الترتيب حيث جاء بلفظة، بصير وعالم وقابلها بلفظة أعمى وجاهل وهي متضادة فهي تحمل تناقضا واضحا بين الموقفين أو الحالين فالمقابلة بالأضداد أعلى مرتبة و أعظم موقعا.

وهناك مثال آخر عن المقابلة ويظهر في قول الزمخشري: " أمن يفوز منه بالهداية وحسن الدلالة، أم من يفوز بك في تيه الغي والضلالة " [4]

---

[1] أبو القاسم بن عمر الزمخشري، مقامات الزمخشري، ص 194.

[2] زين كامل الخويسكي، و أحمد محمود المصري، فنون بلاغية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 1، 2006م، ص 204.

[3] أبو القاسم بن عمر الزمخشري، المرجـع نفســـه، ص 194.

[4] المرجع نفسه، ص 194.

وهنا أيضا جاء بمعاني متضادة، أراد من خلالها تبيين أي الجهتين أحق بالإتباع جهة، الهداية أو إتباع جهة الضلالة فقد قابل الهداية بالضلالة ليضفي عليها رونقا وجمالا خاصا.

بلاغة المقابلة:

يرى كثير من علماء البديع أن بلاغة المقابلة تكمن في كثرتها، وهذا قول مردود عليه، لأن البلاغة ترتبط بالكيف ولا ترتبط بالكم، والعبرة في بلاغة المقابلة تكمن في قدرتها على الوفاء بالمعنى كما تقوم المقابلة بزيادة المعاني وضوحا في الفكر ورسوخا في النفس، وذلك لأن تقابل المعاني يؤكدها خير تأكيد، ويصورها في الذهن فتزداد عمقا في الفهم كما تضفي على الكلام رونقا وبهجة وتقوي الصلة بين الألفاظ والمعاني شريطة أن تأتي عفو الخاطر ولا تؤدي إلى اضطراب الأسلوب وتعقيده. [1]

3. الاقتباس:

ويظهر في قوله: " إن الذي خلقك فسواك، ركب فيك عقلك وهواك " [2] وهو اقتباس من القرآن الكريم فكلامه يتضمن شيئا من القرآن الكريم. وقد اقتبس من سورة الانفطار ويتمثل في قوله تعالى « الذي خلقك فسواك فعدلك (7) في أي صورة ما شاء ركبك (8)» [3]

بلاغة الاقتباس:

لا شك أن الألفاظ المقتبسة من القرآن أو الحديث تزيد الكلام قوة وبلاغة كما تضفي عليه حسنا وجمالا إذ تبدو وسطه كالضياء اللامع، والنور المشرق، والمتكلم عندما يقتبس يبني كلامه على الإلتئام والتلاحم وبهذا يبدو كلامه قويا بليغا.

ومع ما يضيفه الاقتباس إلى الأسلوب من بلاغة فإن استخدامه لا بد أن يخضع لضوابط وشروط يأتي في مقدمتها احترام النص القرآني والحديث النبوي الشريف وعدم الزج بهما في كلام لا يليق بجلالهما وعظمتهما وقدسيتهما. [4]

---

[1] زين كامل الخويسكي، وأحمد محمود المصري، فنون بلاغية، ص 213، 214.
[2] أبو القاسم بن عمر الزمخشري، مقامات الزمخشري، ص 195.
[3] سورة الانفطار، الآية 7، 8.
[4] زين كامل الخويسكي، وأحمد محمود المصري المرجع نفسه، ص 231.

4. الإرصاد:

ومن هذا النوع البديعي قول الزمخشري: " وإن كان الهوى ففر منه فرارك من الأسد، واحذره حذارك من الأسود " [1]

فإذا وقف السامع على قوله " واحذرك " فإنه يعلم أن لا محالة أن بعده " من الأسود "

حيث دل المتقدم من الكلام على ما تأخر منه أو على الذي يليه.

بلاغة الإرصاد:

تقوم جمالية الإرصاد على " إثبات مؤشر دلالي في صدر الكلام يومي إلى آخره ويسمع في تحديده، فإذا ما توقع المتلقي الكلام اللاحق بناء على إدراكه للسابق ثم صح له توقعه وتحقق حدسه أدركته لا محالة من السعادة والبهجة وهي حال من توقع وأصاب.

الإرصاد دليل على براعة صاحبه فالمتكلم الذي يجعل في أثناء كلامه شيئا يدل على نهايته يكون على مقدرة بلاغية حيث يستطيع أن يفهم السامعين كلامه بتمامه وكماله، إذا وصل إلى الكلمة التي ترشد إلى عجز الكلام ونهايته كما أنه يجعل السامع مرهف الحس شديد التذوق للكلام الذي يسمعه فيتابع القارئ ويفهم ما يقوله فإذا وصل إلى سمعه الكلمة التي فيها الإرصاد سبق ذهنه وأسرع خاطره إلى المادة التي يختم بها المتكلم كلامه. [2]

---

[1] أبو القاسم بن عمر الزمخشري، مقامات الزمخشري، ص 196.

[2] زين كامل الخويسكي،و أحمد محمود المصـــــري ،ص 231.

المبحث الثاني: المحسنات اللفظية:

تنوعت واختلفت المحسنات البديعية اللفظية ومن أبرزها وأكثرها نيلا لعناية البلاغيين قديما وحديثا نجد:

1.الجناس:

ويظهر الجناس في قول الزمخشري " ويرد بك زرق المناهل والآخر أعمى جاهل " [1] والجناس هنا بين مناهل وجاهل والاختلاف بينهما في حرفي النون والجيم بالرغم من أنهما ليس من نفس المخرج.

وكذلك بالنسبة لقوله " فأي دليليك، أمهر بالدلالة وأحذق، وأيهما أجدر بأن يتبع وأخلق " [2]

والجناس هنا بين أحذق وأخلق فقد حلت الخاء محل الحاء واللام محل الذال وكل منهم مخرج واحد.

يقول الزمخشري:

فالعقل هاد بصير لا يزيع إلى بصيرة عن سداد الرأي مأفوكه [3]

والجناس يتمثل في لفظتي بصير وبصيرة فالبصير الأولى يقصد بها البصر والنظر بالعيـن، والأبصار الثانية معناها العقول.

بلاغة الجناس:

للجناس قيمة فنية لا تنكر في إثراء الإبداع الأدبي، وقد اكتسب الجناس هذه القيمة نتيجة مجموعة من العوامل يأتي في مقدمتها:

ما يتميز به الجناس من إيقاع موسيقى تطرب له الأذن و تهتز له أوتار القلوب وذلك لما يمتاز به من تكرار يسمح بتكثيف جرس الأصوات وإبرازها مما يغذي الترجيع الإيقاعي

---

[1] أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مقامات الزمخشري، ص 194.
[2] المرجع نفسه، ص 195.
[3] المرجع نفسه، ص 198.

الذي تتحدد ملامحه وفقا لما يمتاز به السياق الحالي من حركة و نشاط وفقا لموقعه من هذا السياق.

يسهم الجناس في إثراء الخيال وجذب الانتباه عن طريق تتبع عناصر التشابه الصوتي التي تنطوي على اختلاف معنوي وتدعو إلى المقارنة والبحث عن الفروق والاختلافات مما يؤدي إلى نشاط خيالي معنوي متكامل.

يكتسب الجناس قيمته الفنية لا بد له " أن يكون مطبوعا، غير متكلف ولا مصنوع وكان المعنى يقتضيه والمقام يستدعيه وله أثر جليل في الأسلوب لا يتحقق بدونه. [1]

2.السجع:

ويظهر السجع في مقامه النهي عن الهوى من خلال قوله: " إن الذي خلقك فسواك، ركب فيك عقلك وهواك، وهما في سبل الخير والشر دليلاك، وفي مراحل الرشد والغي نزيلاك "

" فأي دليليك أمهر بالدلالة وأحذق، وأيهما أجـــــدر بـــــأن يتبـــع وأخلــق "

" أمن تفوز منه بالهداية وحسن الدلالة، أم من يفوز بك في تيه الغي والضلالة. "

" إن جانب العقل أبيض كطرة الفلق، وجهة، الهوى ســـــوداء كجـــدة الغســق " [2]

ومن خلال دراستنا للمقامة يتبين أنها غنية بالسجع فأغلب الجمل تتفق في الحرف الأخير أو في أكثر من الحرف، وقد تساوت الجمل تساويا ملحوظا أحدث جرس موسيقيا رائعا.

بلاغة السجع:

ترجع بلاغة السجع إلى أنه يؤثر في النفوس تأثير السحر ويلعب بالإفهام لعب الريح بالهشيم لما يحدثه من النغمة المؤثرة والموسيقى القوية التي تطرب لها الأذن وتهش لها النفس، فتقبل على السامع من غير أن يداخلها ملك أو يخالطها فتور، فيتمكن المعنى من

[1] زين كامل الخويسكي، واحمد محمود المصـــري، فنـــون بلاغيـــة، ص 169.
[2] أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مقامات الزمخشـــري، ص 194، 195.

الأذهان، ويقر في الأفكار، ويعز لدى العقول، كما أن من مزايا السجع في النظم الكريم شدة ارتباط الفاصلة و تماسكها بما قبلها من الكلام بحيث تنحدر على الأسماع انحدار، وكأن ما سبقها لم يكن إلا تمهيدا لها وبحيث لو حذفت لا تخل معنى الكلام، ولو سكت عنها لاستطاع السامع أن يختمه بها انسياقا مع الطبع والذوق السليم. [1]

وتعد المحسنات البديعية وهي الزينة اللفظية من الوسائل التي يستعين بها الأديب لإظهار مشاعره وعواطفه، للتأثير في النفوس وهذه المحسنات البديعية تكون رائعة إذا كانت قليلة ومؤدية للمعنى الذي يقصده الأديب، أما إذا جاءت كثيرة ومتكلفة فقدت جمالها وتأثيرها وأصبحت دليل ضعف الأسلوب وعجز الأديب.

[1] زين كامل الخويسكي، وأحمد محمود المصري، فنون بلاغية، ص 184، 185.

خاتمة:

من خلال بحثنا هذا والذي حاولنا من خلاله دراسة المحسنات البديعية في مقامة النهي عن الهوى للزمخشري، وقد خلصنا من بحثنا هذا إلى :

- ✓ أن المقامة تصور الجوانب المهمـــة من حيـــاة النـــــاس ونقـد مجتمعاتهـم.
- ✓ يعتمد أسلوب المقامة على الحوار.
- ✓ تتميز المقامة عن غيرها من الفنون الأدبية بغناهـــا بالمحسنـــــات البديعيـــة.
- ✓ تكـــــون أغلـب مواضيـــع المقامـــة في النصـــح والإرشـــاد والمواعـظ.
- ✓ للمقامة غاية تعليمية واضحة إذ يتعلم قارئها غريب اللغة والفنـــون البلاغيـــة.
- ✓ مقامة النهي عن الهوى غنية بالمحسنات البديعية وأغلبها من السجع والطباق.
- ✓ من أشهر المحسنات البديعية التي وجدت في هذه المقامة محسنات معنويـــة.
- ✓ للمحسنات البديعية اللفظية والمعنوية كبير في زيادة المعنى وضوحا وتقريبه إلى ذهن القارئ.

قائمة المراجع:

1- القرآن الكريم برواية ورش.

2- ابن معتز، البديع، إغناطيوس فلراتشكو فسكي دار الميسرة بيروت، ط 3، 1982م

3- ابن منظور، لسان العرب، تح، عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم الشاذلي،دار المعارف، د، ت، مادة (بدع).

4- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، مقامات الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1982م، 1402هـ.

5- أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، ت، درويش جويدي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط، 1401هـ، 1981م، ج1.

6- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ت، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار عيسى الحلبي وشركاه، ط 1، 1971.

7- آمنة الربيع، البنية السردية للقصة القصيرة، في سلطنة عمان، 1980.

8- حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ العربي القديم، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، ط3.

9- زين كامل الخويسكي، وأحمد محمود المصري، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط 1، 2006م

10- عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ت.

11- عبد العزيز عتيق، علم البديع، دار النهضة، العربية، بيروت، لبنان.

12- عبد المالك مرتاض، القصة في الأدب العربي القديم، دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والنشر، ط 1، 1968.

13- عبد المجيد قباني، الرواية ومظاهر التلقي في الأدب الشعبي العربي القديم، قسم الأدب العربي، جامعة حيدر بسكرة، العدد 2009.

14- عثمان موافي، في نظرية الأدب من قضايا الشعر والنثر في النقد العربي القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ط 1، د ت، ج 1.

15- محمد يونس عبد العال، أدبيات في النثر العربي، قضايا وفنون ونصوص.

16- مصطفى السيوفي، تاريخ الأدب الأندلسي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية،القاهرة، مصر، د ط، 2008.

17- هاشم صالح مناع، روائع من الأدب العربي، الجاهلي، الإسلامي، العباسي، دار الوسام ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1.

فهرس المحتويات

الموضوعات	رقم الصفحة

مقدمـــة ..... أ،ب

الفصل الأول: المقامة والمحسنات البديعية.

تعريـــف المقامـــة 4-2

العناصر الفنية للمقامـــة 8-5

أعـــلام المقامـــة 10-9

تعريـــف البلاغـــة 12-11

تعريـــف البديـــع 13-12

المحسنات البديعية المعنوية 15-13

المحسنات البديعية اللفظية 16-15

الفصـــل الثاني: المحسنات البديعية في مقامة الزمخشري.

مـــدخـــل 24-18

المحسنات البديعية المعنوية 28-25

المحسنات البديعية اللفظية 31-29

الخـــاتمـــة 32

قائمة المصادر والمراجع 34-33